

روح المعاني

ومن رأى رأيه وأمر توحيد الضمير حينئذ ظاهر إذ حكم الضمير بعد المفعول معه الإفراد وأجاز الأخفش أن يعطى حكم المتعاطفين فيثنى الضمير وقال بعض النحاة : الصحيح جوازه على قلة واعتراض هذا الوجه أبو حيان بأنه يصير التقدير مع مثله معه وإذا كان ما فى الأرض مع مثله كان مثله معه ضرورة فلا فائدة فى ذكر معه معه لملازمة معية كل منهما للآخر وأجاب الطيبى بأن معه على هذا التأكيد وقال السفاقسى : جوابه أن التقدير ليس كالتصريح والواو متضمنة معنى مع وإنما يقبح لو صرح بمع وكثيرا ما يكون التقدير بخلاف التصريح كقولهم : رب شاة وسخلتها ولو صرحت برب فقلت : ورب سخلتها لم يجز وأجاب الحلبي بأن الضمير فى معه عائد على مثله ويصير المعنى مع مثلين وهو أبلغ من أن يكون مع مثل واحد نعم أن كون العامل ثبت ليس بصحيح لأن العامل فى المفعول معه هو العامل فى المصاحب له كما صرحوا به وهو هنا ما أو ضميرها وشىء منهما ليس عاملا فيه ثبت المقدور وأما صحته على تقدير جعلهم أو متعلقة على ما قيل فممتنع أيضا على ما نقل عن سيبويه أنه قال : وأما هذا لك وأباك فقيح لأنه لم يذكر فعل ولا حرف فيه معنى فعل حتى يصير كأنه قد تكلم بالفعل فان فيه تصرحا بأن اسم الإشارة وحرف الجر والطرف لاتعمل فى المفعول معه وقوله تعالى : من عذاب يوم القيامة متعلق بالافتداء أيضا أى لو أن ما فى الأرض ومثله لهم ليجعلوه فدية لأنفسهم من العذاب الواقع ذلك اليوم .

ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه كما قال شيخ الاسلام على ذلك لهم لأجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بأن يقال : وافتدوا به مع أن الرد والقبول إنما يترتب عليه لاعلى مباديه للايذان بأنه أمر محقق الوقوع غنى عن الذكر وإنما المحتاج إلى الفرض قدرتهم على ما ذكر أو للمبالغة فى تحقق الرد وتخيل أنه وقع قبل الافتداء على منهاج ما فى قوله تعالى : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فأتى به فلما رآه الخ وما فى قوله سبحانه : وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورؤيتهن له وقال بعض الأفاضل : إنما لم يكتف بقوله : إن الذين كفروا لو يفتدون بما فى الأرض جميعا من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم لان ما فى النظم الكريم يفيد أنهم لو حصلوا ما فى الارض ومثله معه لهذه الفائدة وكانوا خائفين من الله تعالى وحفظوا الفدية وتفكروا فبالافتداء ورعاية أسبابه كما هو شأن من هو بصدد أمر ما تقبل منهم فضلا عن أن يكونوا غافلين عن تحصيل الفدية وقصدوا الفدية فجأة ولهذا لم يقل لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ويفتدون به ما تقبل الخ والجملة الامتناعية بحالها خبر : إن

الذين كفروا وهى كناية عن لزوم العذاب لهم وأنه لاسبيل لهم إلى الخلاص منه فان لزوم العذاب من لوازمه أن ما فى الارض جميعا ومثله معه لوافقدوا به لم يتقبل منهم فلما كانت هذه الجملة بل هذه الملازمة لازمة للزوم العذاب عبر عنها بها وأطلق بعضهم على هذه الجملة تمثيلا ولعل مراده على ما ذكره القطب ما ذكره وقال بعض المحققين : لا يريد به الاستعارة التمثيلية بل إيراد مثال وحكم يفهم منه لزوم العذاب لهم أى لم يقصد بهذا الكلام إثبات هذه الشرطية بل انتقال الذهن منه إلى هذا المعنى وبهذا الاعتبار يقال له : كناية ويمكن تنزيله على التمثيل الاصطلاحي بأن يقال : إن حالهم فى حال التفصى عن العذاب بمنزلة حال من يكون له ذلك الأمر الجسيم ويحاول به التخلص من العذاب فلا يتقبل منه ولا يتخلص